الفصل الرابع: جهـود علمـاء المالكية في تقرير صـفات الله تعالى-

وفيه: خمســـــة مبـــــــــــاحث :

- المبحث الأول: التعريف بالصـــفة والفـــرق بينها وبين الوصف والنعت.
- المبحث الثاني : جهـود علمـاء المالكية في بيـان ما تعـرف به الصــفة.
- المبحث الثــالث : جهـــــــــودهم في بيـــان أن الصفـــــــات توقيــفيـة.
- المبحث الرابع : جهـــــــودهم في بيـان حكـــــــم التعـــــــبد بها.
- المبحث الخــــامس : جهــــــــودهم في بيـــان حكـــــــــــم الحلـــــف بها.

المبحث الأول : التعريف بالصفة والفرق بينها وبين الوصف والنعت، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: **تعريف الصفة:**

الصفة مأخوذة من كلمة وصف التي تطلق في لغة العرب: على تحليـة الشـيء ونعته، يقـال وصـفت الشـيء وصـفاً وصفة، إذا أخبرت عن أمارته اللازمة لحليتـه ونعتـه. والهـاء فيه عوض عن الواو.

يقول ابن فارس المالكي -رحمه الله-: "وصف: الواو والصـاد والفـاء، أصـل واحد، وهـو تحليـة الشـىء، ووصـفته أصفه وصفاً، والصـفة الأمـارة اللازمـة للشـيء، كمـا يقـال وزنته وزناً، والزنة: قدر الشـيء. يقـال اتصـف الشـيء في عين الناظر، احتمل أن يوصف. وأما قولهم: وصـفت الناقـة وصوفاً إذا أجادت السـير، فهـو من قـولهم للخـادم وصـيف وللخادمة وصيفة. ويقال: أوصـفت الجاريـة لأنهمـا يوصـفان عند البيع"[1].

وقال بن منظور -رحمه الله-: "وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة، حلاه، والهاء عوض من الواو. وقيل الوصف: المصدر، والصفة الحلية. وقال الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته، وتواصفوا الشيء من الوصف. وقال عز وجل: ( ) [الأنبياء:112] أراد ما تصفونه من الكذب. واستوصفه الشيء، سأله أن يصف له. واتصف الشيء أمكن وصفه، اتصف من الوصف. واتصف الشيء أي: صار متواصفاً، قال طرفة بن العبد[2]:

إني كفاني من أمر هممت به جار كجار الحذاقي الذي اتصفا.

أي: صار موصوفاً بحسن الجوار... "[3]

---

[1] (?) معجم مقاييس اللغة : باب الواو والصاد وما يثلثهما (ص/1054).

[2] (?) هو عمر بن سفيان بن سعد بن مالك , أمه وردة من رهط أبيه ، سمي طرفة بسبب بيت قاله،
كان أحدث الشعراء سناً وأقلهم عمراً. قتل وهو ابن ست وعشرين سنة. انظر في ترجمته:
طبقات فحول الشعراء للجمحي (1/137-138) والشعر والشعراء لابن قتيبة (ص 108-115).

[3] (?) لسان العرب، (9/356) مادة، وصف.

مما سبق يتبين لنا أن الصفة والوصف يراد بهما الكلام الذي يوصف به الموصوف، كما تقول: زيد شجاع، وقد يراد بهما المعاني التي دل عليها الكلام كالشجاعة والحلم وغــير ذلك.

يؤيد هذا ويزيده بياناً قـول شـيخ الإسـلام بن تيميـة -رحمـه الله- حيث يقـول: "الصـفة والوصـف تـارة يـراد بـه الكلام الذي يوصف به الموصوف لقول الصحابي في قـول: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) [الإخلاص:1] أحبها لأنها صفة الرحمن، وتارة يراد بهـا المعـاني الـتي دل عليهـا الكلام: كـالعلم والقـدرة، والجهميه والمعتزلة وغيرهم تنكر هذه وتقول: إنما الصفات مجرد العبارة التي يعبر بهـا عن الموصـوف، والكلابيـة ومن اتبعهم من الصــفاتية قــد يفرقــون بين الصــفة والوصف، فيجعلــون الوصــف هــو القــول، والصــفة المعــنى القــائم بالموصوف، وأما جماهير الناس فيعلمون أن كـل واحـد من لفظ الصـفة والوصـف مصـدر في الأصـل كالوعـد والعـدة، والوزن والزنة، وأنه يراد به تارة هذا وتارة هذا"[1] .

المسألة الثانية : النعت .

قال ابن فارس: "نعت: النون والعين والتـاء كلمـة واحدة وهي النعت ، وهو وصفك الشيء بما فيه من حسن، كذا قاله الخليل إلا أن يتكلف متكلف فيقـول: ذا نعت سـوء قال: وكل شيء جيد بالغ نعت"[2].

وقـال ابن منظـور : "نعت: النعت وصـفك الشـيء، تنعته بمـا فيـه وتبـالغ في وصـفه، والنعت مـا نعت بـه نعتـه ينعته نعتا وصفه، ورجل ناعت من قوم نعات، قال الشاعر: انعتها إني من نعاتها، ونعت الشيء وتنعته إذا وصفته، قـال: واســتنعته أي: استوصــفته، واســتنعته استوصــفته، وجمــع النعت نعـوت، قـال ابن سـيده: لا يكســر على غــير ذلــك، والنعت من كل شيء جيده، وكـل شـيء كـان بالغـاً نقـول: هذا نعت أي جيد، قال: والفرس النعت هو الـذي يكـون في غاية العتق، وما كان نعتاً، ولقد نَعُتَ ينعت نعاتـة فـإذا أردت

---

[1] (?) مجموع الفتاوى (3/335).

[2] (?) معجم مقاييس اللغة، باب النون والعين وما يثلثهما ص/ (998).

أنه تكلف فعله قلت نعِت، يقال فرس نعتٌ ونعتة ونعيتة ونَعِيتٌ عتيقة ،وقد نعتت نعاتة، وفرس نعت ومنعت إذا كان موصوفاً بالعتق والجودة والسبق، قال الأخطل:

إذا عرف الآل الآكام علونه بمنعتات لا بغال ولا حمر

والمنعت من الدواب والناس الموصوف بما يفضله على غيره من جنسه، وهومفتعل من النعت، يقال: نعته فانتعت.كما يقال وصفته فاتصف.

قال ابن الأعرابي: "أنعت إذا حسن وجهه حتى ينعت، وفي صفته صلى الله عليه وسلم يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله"[1].

قال ابن الأثير : "النعت وصف الشيء بما فيه حسن ولا يقال في القبيح إلا أن يتكلف متكلف فيقول: نعت سوء، والوصف يقال في الحسن والقبيح"[2]

وقال الفيروز آبادي [3]: "النعت: كالمنع الوصف كالإنتعات والفرس العتيق السباق كالمنتعت النعتة والنعيتة وقد نعت ككرم نعاتة ، وأما نعت كفرح فلمتكلفه واستنعته استوصفته ، وأنعت حسن وجه حتى ينعت"[4].

مما تقدم يتبين لنا أن أهل اللغة يطلقون لفظ النعت على الصفة وقد يفرق بعضهم بينهما فيجعل الوصف عام في القبيح والحسن والنعت خاص بالحسن كما هو صنيع ابن فارس وابن الأثير وسيأتي مزيد بيان لذلك في المسأله الثالثة .

المسألة الثالثة : الفرق بين الصفة والوصف والنعت.

تقدم في المسألة الأولى أن الوصف والصفة بمعنى واحد، فقد يطلق الوصف والصفة على الكلام الذي يوصف به الموصوف، وقد يطلق ويراد به المعاني التي دل عليها

---

1 (?) لسان العرب، (2/99).

2 (?) النهاية في غريب الحديث . باب النون مع العين (5/79).

3 (?) هو أبو ظاهر محمد بن يعقوب بن محمد مجد الدين الفيروز آبادي ولد بكارزين بلدة بفارس في ربيع الثاني سنة729 هـ وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وتوفي بزبيد قاضياً ممتعاً بحواسه وقد ناهز التسعين سنة 817 هـ أو 816هـ انظر ترجمته في أنباء الغمر ، الضوء اللامع، وانظر ترجمه له موسعه في مقدمة القاموس المحيط للشيخ / نصر الهورينى

4 (?) القاموس المحيط . فصل النون باب التاء (1/165).

الكلام، ممـا أغـنى عن إعادتـه هنا. فلم يبـق إلا الكلام على الفـرق بين الصـفة أو الوصـف والنعت، وقـد اختلـف أهـل العلم في الفرق بين الوصف والنعت فقيل: هما مترادفـان، وقيل: همـا متقاربـان وقيل: "إن الوصـف للـذات، والنعت للفعل"[1].

وقد تقدم تفريق بعض أهل اللغة بين الوصف والنعت وقال بعضهم أن النعت يكون بالحلية نحـو : طويـل وقصـير والصفة تكون بالأفعال نحو ضارب وخارج"[2].

ونتيجة لذلك نجد أن أهل السنة والجماعة قد ذكروا فروقاً بين الصفة أو الوصف والنعت في باب صفات الله عز وجل، وإن كان كل واحد من اللفظين يطلق على الله عز وجل.

ويدل على ذلك الكتاب والسنة كما في قوله عز وجل : (ى ى ي ي) [الصافات:180]، وكما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم ب (ٻ ٻ ٻ) [الإخلاص:1] فلما رجعوا، ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: سلوه : لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه ، فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أخبروه أن الله يحبه"[3].

والمصنفون من أهل السنة يطلقون ذلك في مؤلفاتهم كما هو صنيع البخاري في كتاب التوحيد من كتابه الصـحيح، ومثله ابن خزيمـة في كتـاب التوحيد، وابن منـده في كتـاب التوحيد، والدارمي في رده على المريسي، وغيرهم كثير.

كما أنهم يطلقون لفظة النعت ويضـيفونها إلى اللـه عـز وجل كما يدل عليه صـنيع ابن جريـر الطـبري في تفسـيره،

---

[1] (?) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز، (ص/217).

[2] (?) شرح المفصل لابن يعيش (2/1007)، وانظر جهود بن قيم الجوزية، للدكتور وليد بن محمد العلي ص(1/63).

[3] (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد. باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تعالى ومسلم في كتاب الصلاة . باب فضل قراءة قل هو الله أحد.

وابن تيميــة في الفتــاوى، وتلميــذه بن القيم في المــدارج، وابن كثير في التفسير، والـذهبي في العلو، ممـا يـدل على أنهم يرون جواز إطلاق هذه اللفظة وإضافتها إلى الله، وإن كان الأولى أن يقال: صفة الله، أو صفات اللــه بــدل (نعت الله) أو (نعت الله أو نعوت الله) لورود الحديث الصــحيح بذلك[1].

وأما الفروق التي يذكرها أهل السنة بين الوصف والنعت فنكتفي بما أورده ابن القيم -رحمه الله- حيث قال:

"الفرق بين الصفة والنعت من وجوه ثلاثة:

أحدهما : أن النعت يكون بالأفعال التي تتجدد. كقوله تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) [الأعراف:54] وقوله: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ) [الزُّخرُف:10-12]ونظائر ذلك .

والصفة هي الأمور الثابتة اللازمة للذات. كقوله تعالى: (ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) [الحشر:22-24]، ونظائر ذلك.

الفرق الثاني: أن الصفات الذاتية لا يطلق عليها اسم النعوت كالوجه واليدين والقدم والأصابع، وتسمى صفات. وقد أطلق عليها السلف هذا الاسم، وكذلك متكلمو أهل الإثبات سموها صفات، وأنكر بعضهم هذه التسمية كأبي الوفاء بن عقيل وغيره، وقال: لا ينبغي أن يقال: نصوص الصفات بل آيات الإضافات؛ لأن الحي لا يوصف بيده ولا وجهه، فإن ذلك هو الموصوف فكيف تسمى صفة؟

وأيضاً: فالصفة معنى يعم الموصوف فلا يكون الوجه واليد صفة.

والتحقيق: أن هذا نزاع لفظي في التسمية، فالمقصود: إطلاق هذه الإضافات عليه سبحانه، ونسبتها إليه، والإخبار عنه بها منـزهة عن التمثيل والتعطيل، سواء سميت صفات أو لم تسم.

---

[1] (?) انظر صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة تأليف علوي بن عبد القادر السقـاف، (ص/222، 345، 349).

الفرق الثالث: أن النعوت ما يظهر من الصفات ويشتهر ويعرفه الخاص والعام. والصفات: أعم، فالفرق بين النعت والصفة فرق ما بين الخاص والعام، ومنه قولهم في تحلية الشيء: نعته كذا وكذا لما يظهر صفاته.

وقيل: هما لغتان لا فرق بينهما، ولهذا يقول نحاة البصرة: باب الصفة، ويقول نحاة الكوفة: باب النعت، والمراد واحد والأمر قريب"[1].

[1] (?) مدارج السالكين (3/423 - 424)

يقـــرر أهل الســـنة والجماعة أن المضـــاف إلى الله عز وجل نوعان :

الأول : معـــاني لا تقـــوم بنفســـها فهـــذه يطلق عليها صـــفات وإضـــافتها إلى الله عز وجل إضـــافة صـــفة إلى موصوف كمثل الكلام فكلام الله عز وجل صفة من صــفاته أضيف إليه عز وجل قال سبحانه : ([illegible]) [الأعراف:144] وقوله عز وجل ([illegible]) [التوبة:6] ومثل العزة المضافة إلى الله عز وجل كما في قوله تعـالى حكاية عن إبليس ([illegible]) [ص:82] وهكـذا علم الله وعلـوه وكبريـاؤه وعظمته ورحمته وحياته فهذه كلها صفات الله عز وجل .

الثاني : أعيان تقوم بنفسها فهـذه مخلوقة لله عز وجل وإضـــافتها إلى اللـــه ســـبحانه إضـــافة خلق أو إضـــافة تشريف كما في قوله عز وجل: ([illegible]) [الحج:26] وكما في قوله عز وجل: ([illegible]) [الحِجر:29]

فالنوع الأول: لا يمكن أن ينفصل عن الله عز وجل وهو غـير مخلـوق فيسـمى صـفات، وإضـافته إلى الله عز وجل من باب إضافة الصفة إلى الموصـوف، فـالعزة مثلاً وصف أضيف إلى الله عز وجل فهي بهذا الاعتبار صفة .

والنوع الثـاني: أعيـان قائمه بنفسـها مخلوقـة وإضـافتها إلى الله عز وجل بحسب السـياق ولا يمكن أن يطلق عليها أنها صـفات وإنما يقـال: أضـيفت إلى الله إضـافة تشـريف كبيت الله وناقة الله وإما إضافة خلق وإيجاد كروح الله[1].

والمحققـــون من أئمة المالكية كغـــيرهم من أهل السنة والجماعة لا يخرجون في تقرير ما تعـرف به الصـفة عن هذا المنهج، ومن ذلك:

1. قول أبي العباس القرطبي[2]

قـال رحمه الله عند تقريـره لجـواز الحلف بأسـماء الله

---

1 (?) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (1/359).

2 (?) قدمت قول أبي العباس القرطبي؛ لأنه الأقرب في بيان ما تعرف به الصفة.

وصــفاته :" وكــذلك الحلف بصــفات الله تعــالى : كقوله : وعــزة الله ، وعلمه ، وقدرته ، وما أشــبه ذلك مما يتمحض فيه الصفة لله عز وجل ..."[1]

وأما ما يضاف إلى الله تعالى مما ليس بصفة كقوله : وخلق الله ، ونعمته وبيته فهـذه ليست بأيمـان، لأنها حلف بغير الله عز وجل كما تقدم .

فقد قرر رحمه الله أن الصفات هي كل ما يضاف إلى الله عز وجل من الأعيان التي لا تقوم بنفسها كالعزة ، والعلم ، والقــدرة فهــذه تضــاف إلى الله عز وجل إضــافة صفة إلى موصوف ولذلك جاز الحلف بها؛ لأن من المتقــرر عنده جواز الحلف بأسماء الله وصـفاته ولو لم تكن إضـافة العــزة ، والعلم والقــدرة وما في معناها صــفات لما جــاز الحلف بها .

وأما ما يضاف إلى الله عز وجل من الأعيان القائمة بنفســها فهــذه ليست من الصــفات المضــافة إلى الله عز وجل ولذا قرر رحمه الله عـدم جـواز الحلف بها لأن الحلف بها حلف بغير الله عز وجل .

والقرطبي بذلك يوافق ما عليه أهل السنة والجماعة في بيـان ما تعـرف به الصـفة وأنها كل ما يضـاف إلى الله عز وجل من المعاني التي لا تقوم بنفسها .

2. قول ابن العربي :

قال في بيان ما تعـرف به الصـفة : حقيقة الاسم كل لفظ جعل للدلالة على المعنى إن لم يكن مشتقاً فإن كــان مشتقاً فليس باسم، وإنما هو صـفة هـذا هو قـول النحـاة ، فالعالم عندنا اسم كزيد اسم لكن أحدهما يدل على الوجود والآخر يدل على الوجود ومعنى معه زائد عليه[2]

فقد بين بن العـربي رحمه الله أن اللفظ إذا دل على معنى ولم يكن مشتقاً أنه صـفة لأنه يـدل على العلم وعلى معنى زائد عليه، وهذا ما تعرف به الصفة .

3. قول أبي عبدا لله القرطبي.

---

1 (?) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (15/69).

2 (?) الأسنى، (ص/37).

حيث قال -رحمه الله- بعد أن نقل كلام ابن العـربي المتقـــدم : "قلت: وبيـــان ذلك أنك إذا قلت زيد مثلاً ، فهو يـدل على ذات متشخصـة في الوجـود ومن غـير زيـادة ولا نقصان فلو قلت : العالم ، دل هنا على تلك الذات منسـوبة إلى العـالم ، وهكـذا ومن هنا صح عقلاً أن تكـثر الأسـماء المختلفة على ذات واحـدة، ولا يـوجب تعـداداً ولا تكثـيراً، وكذلك الصفات من القـدرة والإرادة ونحو ذلك لم تسم بما سـميت به من قولنا : قـدرة وعلمـاً وإرادة وإنما سـميت بذلك تحديداً وتوقيفا بالكتاب والسنة وإجماع الأمة"[3].

مما تقدم يتبين لنا جهود متقـدمي أئمة المالكية في بيـــان ما تعـــرف به الصـــفة وهم لا يخرجـــون بالجملة عما يقـــرره أهل الســـنة والجماعة كما بين ذلك أبو العبــاس بن تيميه رحمة الله، حيث قال في بيان ذلك : "

والمضـاف إلى الله نوعـان: فـإن المضـاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحيـاة وإما أن يكون عينا قائمة بنفسها.

فالأول: إضافة صفة كقوله: (ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ) [البقرة:255] وقوله: (ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ) [الذاريات:58] وقوله: (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ) [فُصِّلَت:15].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحـديث الصـحيح حديث الاستخارة: "إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غـــير الفريضـــة، ثم ليقـــل: اللهم إني أســـتخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك، وقوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ) [الأنعام:115] وقوله: (ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ) [الممتحنة: 10] وقوله: (ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ) [الطلاق:5]

والثاني: إضافة عين كقوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ) [الحج:26] وقوله: (ﭲ ﭳ ﭴ) [الشمس:13] وقوله: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ) [الإنسان: 6]

فالمضاف في الأول صـفة لله قائمة به ليست مخلوقة له بائنة عنه، والمضـاف في الثـاني مملـوك لله مخلـوق له بــــائن عنه؛ لكنه مفضل مشـــــرف لما خصه الله به من الصفات الـتي اقتضت إضـافته إلى الله تبـارك وتعـالى كما

3 (?) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى(ص/37).

خص ناقة صالح من بين النوق، وكما خص بيته بمكة من البيوت، وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق. ومن هذا الباب قوله تعالى: (ڍ ڍ ڌ) [مريم:17] فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثل لها بشرا سويا، وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقيا، وأنه قال: (ګ ګ ګ ڳ ڳ) [مريم:19]

وهذا كله يدل على أنها عين قائمة بنفسها ...وإذا كان الله قد بين أن المضاف هنا ليس من الصفات القائمة بغيرها بل من الأعيان القائمة بنفسها علم أن المضاف مملوك لله مخلوق له؛ لكن إضافته إلى الله تدل على تخصيص الله له من الاصطفاء والإكرام بما أوجب التخصيص بالإضافة، وقد ذكرت فيما كنت كتبته قبل هذا من الرد على النصارى الكلام في ذلك وغيره وبينت أن المضافات إلى الله نوعان أعيان، وصفات:

فالصفات إذا أضيفت إليه كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب ونحو ذلك دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به ليست مخلوقة لأن الصفة لا تقوم بنفسها فلا بد لها من موصوف تقوم به فإذا أضيفت إليه علم أنها صفة له لكن قد يعبر باسم الصفة عن المفعول بها فيسمى المقدور قدرة والمخلوق بالكلمة كلاما والمعلوم علما والمرحوم به رحمة كقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة"[1]

وقوله تعالى فيما يروي عنه نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال:" للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء"[2] ،ويقال للمطر والسحاب هذه قدرة قادر وهذه قدرة عظيمة، ويقال في الدعاء غفر الله لك علمه فيك أي معلومه.

وأما الأعيان: إذا أضيفت إلى الله تعالى؛ فإما أن تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق مثل كونها

---

1 (?) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب الرجاء مع الخوف.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب قوله: (ى ى ي ي) [ق:30] .

مخلوقة ومملوكة له ومقــدورة ونحو ذلك، فهــذه إضــافة عامة مشتركة كقوله: (ﯓ ﯔ ﯕ) [لقمان:11].

وقد يضاف لمعنى يختص بها يميز به المضاف عن غيره مثل بيت الله، وناقة الله، وعبد الله وروح الله، فمن المعلــوم اختصــاص ناقة صــالح بما تمــيزت به عن ســائر النيـاق، وكـذلك اختصـاص الكعبة، واختصـاص العبد الصـالح الذي عبد الله وأطـاع أمـره، وكـذلك الـروح المقدسة الـتي امتازت بما فـارقت به غيرها من الأرواح؛ فـإن المخلوقـات اشتركت في كونها مخلوقة مملوكة مربوبة لله يجري عليها حكمه وقضاؤه وقـدره وهـذه الإضـافة لا اختصـاص فيها ولا فضيلة للمضاف على غيره.

وامتاز بعضها بأن الله يحبه ويرضـاه ويصـطفيه ويقربه إليه ويــأمر به أو يعظمه ويحبه فهــذه الإضــافة يختص بها بعض المخلوقات كإضافة الـبيت والناقة والـروح وعبـاد الله من هذا الباب... وهذا الأصل الـذي ذكرنـاه من الفـرق فيما يضاف إلى الله بين صـفاته وبين مملوكاته أصل عظيم ضل فيه كثــير من أهل الأرض من أهل الملل كلهم فــإن كتب الأنبيـاء التـوراة والإنجيل والقـرآن وغيرها أضـافت إلى الله أشياء على هذا الوجه، وأشياء على هذا الوجه"[1].

---

[1](?) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (1/359-361)

المبحث الثالث : جهودهم في بيان أن الصفات توقيفية.

من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة أن صفات الله عز وجل توقيفيه، ويعنون بذلك أن طريقة إثبات صفات الله عز وجل يكون بالكتاب والسنة، فلا يثبتون لله تعالى من الصفات إلا ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته؛ لا يتجاوزون القرآن والسنة. فأهل السنة يرون وجوب الوقوف في أسماء الله عز وجل على ما جاء به النص، وأما العقل فلا يمكنه إدراك ما يجب لله عز وجل من الصفات؛ لأن ذلك من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع في هذا الأمر إلى الكتاب والسنة. ويستدلون على ذلك بقوله عز وجل: (□□□□□□□□□□□□□ ی ی ي ﯾ) [الإسراء:36] وقوله عز وجل: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) [الأعراف: 33].

ففي الآية الأولى النهي عن التكلف بما ليس عند المكلف فيه علم وبيان، وأن ذلك أمر متوعد عليه، وفي الآية الثانية ترتيب للكبائر من الأصغر إلى الأكبر وبيان أن أعظم هذه الكبائر القول على الله بدون علم، ومن ذلك القول في صفاته بإثبات صفات لم ترد في كتابه ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو نفي صفات أثبتها في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. ومن المعلوم أن منهج السلف في الصفات هو منهجهم في الأسماء ولا فرق في ذلك، وقد تقدم بيان شيء من منهجهم في إثبات أن الأسماء توقيفية، فكذلك في الصفات، فالطريقة واحدة والمنهج واحد[1].

والمحققون من أئمة المالكية على نهج إخوانهم أهل السنة يسيرون، ولطريقتهم ملتزمون، ولما يقررونه في صفات الله عز وجل يقررون. ومن أمثله ذلك ما يلي:

---

[1] (?) انظر: الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، والقواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

1. قول الإمام ابن أبي زمنين. قال رحمه الله:

اعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علما، والعجز عما لم يدع إيمانا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه، وقد قال وهو أصدق القائلين: (ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ) [القصص:88] وقال: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ) [الأنعام: 19] وقال: (□ □ □ □) [آل عمران:28] وقال: (□ □ □ □ □ □) [الحِجر:29]وقال: (□ □ □) [الطور:48] وقال: (ﭵ ﭶ ﭷ) [طه: 39] وقال: (□ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ □ □ □ □) [المائدة: 64]وقال: (□ □ □ □ □ □ □ □ □) [الزُّمَر:67] وقال: (□ □ □ ﯿ) [طه:46] وقال: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ) [النساء:164] وقال: (□ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ) [النور:35] وقال: (ﯓ □ □ □ □ □ □ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ □ □) [البقرة:255] وقال: (□ □ □ □ □ □) [الحديد:3].

ومثل هذا في القرآن كثير، فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس وغير ذلك، كما وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلم، الأول ولا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية لا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء ما خلق، والباطن بطن علمه بخلقه تعالى (□ □ ﯼ ﯽ) [الحديد:3] حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم"[1].

فقد قرر-رحمه الله- أن صفات الله عز وجل توقيفية، وأن أهل العلم لا يتكلفون إثبات صفات لم يثبتها الله لنفسه في كتابه، أو على ألسنة رسله، وهذا هو معتقد أهل الحق.

[1](?) شرح أصول السنة، (ص60/61).

2. قول محمد العتبي القرطبي [1]

قال -رحمه الله- "ولا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه تبارك وتعالى بشيء، ولكنه يقول: له يدان كما وصف به نفسه، وله وجه كما وصف نفسه، تقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب؛ فإنه تبارك
وتعالى لا مثل له ولا شبيه ولا نظير"[2].

فقد قرر رحمه الله أن الأصل في إثبات صفة لله عز وجل ورود النص بذلك، فلا يجوز لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه كما لا يجوز نفي صفة أثبتها لنفسه في كتابه.

3. قول القاضي عبدالوهاب البغدادي.

قال -رحمه الله- في تقريره أن صفات الله تعالى توقيفية يتبع فيها النص ويسلم فيها للشرع: "اعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء اتباع للنص وتسليم للشرع وتصديق لما وصف نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له كيفية[3]؛ لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام بشيء، ولا سألته الصحابة عنه ... وقد أجمل مالك رحمه الله الجواب عن سؤال من سأله: (ﮈ ﮊ ﮋ ﮌ) [طه:5] كيف استوى؟ فقال: "الاستواء منه غير مجهول، والكيف

---

[1] (?) محمد بن أحمد العتبي مولى عتبة ابن أبي سفيان القرطبي المالكي أبو عبد الله، فقيه حافظ راوية داعية، قال عنه تلميذه محمد بن لبابة: "لم يكن هنا –يعني في الأندلس- أحد يتكلم مع العتبي في الفقه ولا كان بعده أحد يفهم فهمه إلا من تعلم عنده"، وقال ابن عبد البر: "كان عظيم القدر عند العامة، معظما في زمانه"، من مؤلفاته: المستخرجة العتبية على الموطأ، وكراء الدور والأراضين، توفي بالأندلس سنة 255 ه، انظر ترجمته في: ترتيب المدارك (1/449) وبغية الملتمس (ص:40) والأعلام (5/307).

[2] (?) البيان التحصيل شرح العتبية (16/400).

[3] (?) أي كيفية معلومة للخلق وأما نفي الكيفية مطلقاً فليس من منهج أهل السنة والجماعة فهم يثبتون كيفية الصفات أي يثبتون معنى الصفة؛ ولكنهم لا يكيفون الحقيقة كما في أثر مالك.

منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة". ثم أمر بالسائل فأخرج[1].

فبين -رحمه الله- أنه يجب الوقوف في إثبات صفات الله عز وجل مع النص حيث جاء في الكتاب والسنة إثبات صفة الاستواء على العرش، ولم يأت ذكر الكيفية، فوجب الوقوف في ذلك مع النص، واستدل على تقرير ذلك بقول إمام دار الهجرة أبي عبدا لله مالك ابن أنس من أن الواجب الوقوف على نصوص الكتاب والسنة، والإيمان بما جاء فيهما من صفات الله عز وجل. أما التكلف والخروج عن هذا فضلال وابتداع في دين الله عز وجل، يجب الإنكار على صاحبه وردعه بما يستحق من عقاب. فرحم الله أئمة أهل السنة، ما أشد حرصهم على توحيد الله عز وجل.

4. قول الحافظ بن عبد البر.

قال -رحمه الله- في بيان أن صفات الله توقيفيه لا يتجاوز فيها النص والإجماع: "... لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه على ما تقدم ذكرنا له من وصفه لنفسه لا شريك له، ولا ندفع ما وصف به نفسه؛ لأنه دفع للقرآن، وقد قال الله عز وجل: (□□□□□□) [الفجر: 22][2].

وقال -رحمه الله-: "فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير؛ فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[3].

وقال: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محدودة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقربها مشبه، وهم عند من

---

1 (?) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير(ص28).

2 (?) التمهيد (7/137) ، (2/3).

3 (?) المصدر السابق، (ص/145).

أثبتها نافون للمعبود؛ والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله[1].

وقال -رحمه الله-: "ليس في الاعتقاد في صفات في الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه"[2].

وقال مبيناً أن الأصل في إثبات صفات الله عز وجل النص وأنه لا يجوز القياس في ذلك: "لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام"[3].

وقال: "ونهى السلف رحمهم الله عن الجدال في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه، وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر؛ لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع على الأصول للحاجة إلى ذلك، وليس الاعتقادات كذلك؛ لأن الله عز وجل لا يوصف عند الجماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أجمعت الأمة عليه؛ وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو بإمعان نظر"[4].

وقال: "ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات وما جاء عن الصحابة فهو علم يدان به، وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فبدعة وضلالة، وما جاء في أسماء الله أو صفاته عنهم يسلم له ولم يناظر فيه كما لم يناظروا؛ قال أبو عمر: رواها السلف -أي نصوص الصفات- وسكتوا عنها، وهم كانوا أئمة الناس علماً وأوسعهم فهماً وأقلهم تكلفاً، ولم يكن سكوتهم عن عي؛ فمن لم يسعه ماوسعهم فقد خاب وخسر[5].

---

1 (?) المصدر السابق، (ص/145).
2 (?) جامع بيان العلم وفضله، (2/131).
3 (?) المصدر السابق، (2/86).
4 (?) المصدر السابق، (2/120).
5 (?) المصدر السابق، (2/133).

مما تقدم يتبين لنا أن الإمام أبا عمرو يقرر أن صفات الله عز وجل توقيفية ولايتجاوز فيها النص، وينقل إجماع السلف على ذلك.

5. قول محمد بن رشد.

قال -رحمه الله- في كتابه البيان والتحصيل في شرح العتبيه عند قول الإمام محمد العتبي رحمه الله: "لا ينبغي لأحد أن يصف الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه في القرآن (... يريد أو وصفه به رسوله في متواتر الآثار[1] واجتمعت الأمة على جواز وصفه به)[2].

وقال: "قوله -يعني محمد العتبي-: لا يشبه يدي ربه بشيء ولا وجهه تبارك وتعالى بشيء؛ ولكن يقول له يدان كما وصف نفسه، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب"[3].

مما تقدم يتضح أن ابن رشد -رحمه الله- يقرر أن صفات الله تعالى توقيفية لايتجاوز فيها الكتاب والسنة، وأنه يجب الوقوف عند ذلك كما هو منهج أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً.

6. قول القرطبي.

قال -رحمه الله-: "لا مدخل للقياس في أسماء الله تعالى، على هذا جمهور العلماء على ما نذكره". ثم ذكر أقوال أهل العلم في تقرير كون صفات الله توقيفيه يتوقف في إثباتها على النص من الكتاب والسنة فقال:

قال ابن فورك : "واعلم أن أسماء الله تعالى وصفاته عندنا مأخوذة نصاً وتوقيفاً، لا يجوز أن تتعدى إلى مالا يرد به نص". وقال أبو الحسن القابسي: "أسماء الله تعالى وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف، والتوقيف كتاب الله وسنة رسوله واتفاق أمته، وليس للقياس في ذلك مدخل، وما اجتمعت عليه الأمة فإنهم عن سمع علموه من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم".

---

1 (?) الصواب عدم الاقتصار في إثبات صفات الله عز وجل على الأحاديث المتواتره، بل يستدل بكل ما صح عنه صلى الله عليه وسلم سواء أكان متواتراً أو أحاداً.

2 (?) البيان والتحصيل (16/ 400 – 401).

3 (?) المصدر السابق (16/ 401).

وقال أبو جعفر النحاس في كتاب (علم أسماء الله تعالى): "فإنما يلزم العبد الاستسلام، ولا يعرف ملك مقرب ولا نبي مرسل تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرفهم الرب، ولا يدري بالعقول والمقاييس منتهى صفات الخالق سبحانه وتعالى، فيلزم المسلم أن يتثبت معرفة الصفات بالاتباع والتسليم كما جاء".

ثم ختم ذلك بتقريره أن صفات الله عز وجل توقيفيه حيث قال: "وجملة القول أنه لا يجوز أن يسمى الله تعالى ويوصف إلا بما سمى به نفسه لخلقه ووصف أو سماه به رسوله أو أجمع المسلمون عليه؛ فإذا صح الاسم أو الصفة عن طريق السمع فالواجب علينا الانقياد والتسليم له، وكان له من ذلك ما يليق بجلاله"[1].

وقال -رحمه الله-: "قال جماعة من العلماء : ولا يجوز أن يشتق لله تعالى من شر ما خلق اسم ولا صفة، ولا من قوله: (   ) [الأحزاب:43] مصلٍ ، ولا يوصف أيضاً بأنه صائم لكونه لا يطعم، ولا شاء من شاء، والبارئ تعالى وإن كان قد اتفق جميع الأمة على وصفه بأنه قد شاء ويشاء، فلم يرد في كلامه ولا كلامهم شاء، استغنوا عنه بقولنا: مريد وكل وصف واسم ورد بتعلق الإرادة. وكذلك لم يصفوه بأنه قاصد وإن كانت الإرادة هي القصد، كما لم يصفوه بأنه عارف وبأنه ذاكر، استغنوا عنه بأنه عالم. ولا يشتق له من الحركة التي يحدثها في المتحركين محرك، ولا من الجراح التي يقدرها جارح، ولا يوصف بأنه شجاع، ولا فصيح ولا خطيب، ولا بليغ ولا حاذق ولا فقيه، ولا يوصف بالغيظ، ويوصف بالغضب، وفي التنـزيل: ( ) [الزُّخرُف:55] أيٍ أغضبونا. وفي حديث الشفاعة: "إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله"[2]. ولا يوصف بالجرأة ولا بأنه صالح، ويوصف بأنه كامل، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه ويقال: (الله خير من كذا) لقوله تعالى: (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) [النمل:59]،

---

1 (?) الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، ص(7-15).

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول عز وجل: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) ومسلم في كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منـزلة فيها.

ولا يجوز أن يقال: شفيق؛ لأن الشفقة الحذر والخوف. ولا يسمى بموقن، لأن الموقن من علم بعد الارتياب، ولا يسمى بفهم لأن الفهم السريع التعلم، ولا يجوز أن يقال: عزم الله على كذا؛ لأن العزم هو القطع على الشيء بعد الروية.

وجملة القول أنه لا يجوز أن يسمي الله تعالى ويوصف إلا بما سمى به نفسه لخلقه ووصف، أو سماه به رسوله ووصف، أو أجمع المسلمون عليه، فإذا صح الاسم أو الصفة من طريق السمع فالواجب علينا الانقياد والتسليم له، وكان له من ذلك ما يليق بجلاله"[1].

مما تقدم يتبين لنا أن الإمام القرطبي-رحمه الله- يقرر أن صفات الله عز وجل توقيفية، وينقل على ذلك الإجماع.

7. قول محمد المكي بن عزوز.

قال -رحمه الله-: "صفاته وأسماؤه تعالى توقيفية، فلا يجوز أن يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله"[2].

فقد بين رحمه الله أن الواجب في صفات الله عز وجل وأسمائه الوقوف على النص، وأنه لا يجوز الاجتهاد في إثبات صفات لم ترد في الشرع.

وقد بين ذلك بقوله: "العقل مخلوق، والمخلوق لا يعرف من صفات خالقـه إلا ما عرفه خالقه، فلا يعتقد ولا يتكلم أحد في أمور خالقه إلا ما أذن له فيه؛ فالعقل لا سبيل له إلى الحكم في المباحث الإلهية نفياً وإثباتاً إلا بتلقي علمها من إفادة نبوية"[3].

مما تقدم يتبين أن الشيخ محمد بن عزوز يقرر-رحمه الله- أن صفات الله عز وجل توقيفية يتبع فيها النص الوارد في الكتاب والسنة؛ وأن العقل لا يستقل بإثبات صفات الله عز وجل، وأن عليه أن يكون تابعا للنص، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

8. قول الشيخ عبد الحميد بن باديس.

---

1 (?) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص14/15).

2 (?) عقيدة التوحيد الكبرى، (ص/190).

3 (?) المصدر السابق، (ص/111).

قال -رحمه الله- مبيناً أن صفات الله عز وجل توقيفية يجب الإنتهاء فيها إلى ما جاء به النص: "نثبت له ما أثبته لنفسه على لسان رسله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه"[1].

وبهذا يتبين أن الشيخ ابن باديس يقرر أن صفات الله عز وجل توقيفية يتبع فيها الكتاب والسنة، فلا نثبت لله من الصفات إلا ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله؛ لأن ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ومن أطلع عليه من رسله كما هو معتقد أهل الحق.

9. قول العلامة محمد الأمين الشنقيطي.

قال -رحمه الله- في تقرير أن أسماء الله توقيفية: "... والخير كل الخير في اتباع نور هذا القرآن العظيم، والاهتداء بهدي هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ فما أثبته لنفسه نثبته مع غايات التنـزيه، وما أثبته سيد الخلق صلى الله عليه وسلم نثبته مع كمال التنـزيه، وما نفاه ننفيه مع غايات التنـزيه، وما سكت عنه الوحي لم يتعرض له بالكلية؛ فإن الله لم يكلفنا في صفاته إلا بما علمنا عن طريق كتابه، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم"[2].

فقد قرر-رحمه الله-أن الواجب على المسلم أن يقف مع نصوص الصفات وفق ما جاءت به نفيا وإثباتا، وما لم يرد نفيه ولا إثباته فيجب التوقف فيه.

من خلال هذه النقول عن المحققين من أئمة المالكية نرى أنهم سلفاً وخلفاً يقررون أن صفات الله عز وجل توقيفية لا يتجاوز فيها الكتاب والسنة، فما أثبت الله لنفسه من الصفات في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وجب إثباته، وما نفاه سبحانه عن نفسه يجب نفيه مع اعتقاد كمال ضده، ومالم يرد النص في إثباته أو نفيه فيجب التوقف فيه، وهم بذلك يوافقون أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-: "وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفيا ولا إثباتا، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون.

---

1 (?) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع شرحها فتح رب البرية، (ص/167).

2 (?) صفات الله عز وجل، تحقيق: عبد الله الدغيثر، (ص/71).

فالواجب أن ينظر في هذا الباب-أعني باب الصفات- فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه. والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني"[1].

1 (?) شرح الطحاوية، (ص/218).

إن من أعظم ثمرات الإيمان بصفات الله عز وجل ظهور آثار هذه الصفات على تصرفات العبد، وإذا علمنا أن العبادة هي غاية التذلل لله عز وجل مع كمال المحبة له سبحانه، وتحقيق التوحيد له عز وجل يتضمن إثبات صفات الكمال له، وأنه سبحانه وحده الذي يستحق أن يعبد، ويخاف منه ويرجى، ويتوكل عليه، حينما يتحقق العبد أنه ليس له من دون ربه وكيل ولا ولي ولا شفيع، وأنه سبحانه ليس بينه وبين عباده واسطة في رفع حوائجهم إليه وتفريج كربهم وإغاثة لهفاتهم وإجابة دعواتهم؛ أورثه ذلك صدق المحبة لربه والرضا به رباً وإلهاً، وكافياً ومدبراً، فيقصده في جميع حوائجه دون من سواه، ويفوض إليه في كل أموره، ويستسلم له في كل أحواله.

وإذا أيقن أن من صفاته -سبحانه- المحبة والرضا، والفرح والضحك والرحمة، وعلم أنه سبحانه وتعالى يحب المطيعين من عباده، ويرضى عن أهل التوحيد، ويفرح بتوبة التائبين أشد من فرح الفاقد لراحلته التي انفلتت منه في الأرض المهلكة، وعليها طعامه وشرابه، حتى إذا استيئس منها واستسلم للموت لم يرعه إلا رؤيته لها وقد تدلى خطامها فوق رأسه[1]. وإذ استيقن أن الله عز وجل يضحك من عباده ضحكاً يليق بجلاله، ويعجب من بعض فعالهم كما في الحديث: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الأخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب على القاتل فيستشهد"[2]، واستيقن أن الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة بولدها، كما في الحديث الذي رواه الشيخان من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امراة تبتغي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في

---

1 (?) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب: التوبة، ومسلم في كتاب التوبة، باب: الحث على التوبة والفرح بها.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل. ومسلم في كتاب الإمارة، باب: بيان الرجلان يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة.

النار"؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أرحم بعباده من هذه بولدها"[1].

فإذا تحقق العبد ذلك واستيقنه، أورثه محبةً لربه، وطمعاً في رحمته ورجاءاً لمغفرته، وسعياً في مرضاته، وإيثاراً لمحبته على محبة جميع الخلق، ورضاه على رضاهم. وهذا أعظم نعيم يدركه العبد في الدنيا، وهو سبب لنيل رضى ربه في الدار الآخرة وهو من أعلى النعيم، كما قال عز وجل: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ې ې ﯥ) [التوبة: 72].

وإذا علم العبد أن ربه عز وجل يغضب على من يتجرأ على معصيته ويتجاوز حدوده، وأنه ينتقم لأوليائه من أعدائه، وأنه سبحانه وتعالى يغار إذا انتهكت محارمه، أورثه ذلك البعد عن أسباب سخطه وغضبه، وابتعد عن موجبات مقته؛ فيجمع بين الخوف والرجاء، وبين المحبة والتعظيم لله عز وجل.

وهكذا الإيمان بجميع صفات الله عز وجل يثمر للعبد ألواناً من العبودية لا يتسع المجال لعدها، ولكن المقصود التذكير بشيء من ذلك.

ولذلك نجد أن أهل السنة والجماعة يقررون هذه المسألة، ويرون أنها من أعظم ما يعين على تحقيق العبودية لله عز وجل، ومؤلفاتهم ورسائلهم وأقوالهم شاهدة بذلك.

وأئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة يقررون التعبد لله عز وجل بمقتضى صفاته العليا، ومن أمثله ذلك ما يلي:

1. قول ابن رشد.

قال -رحمه الله- مبيناً أثر التعبد لله عز وجل بمعرفته ومعرفة صفاته، وأن ذلك سبب لخوفه ورجائه، الذين هما من أجل مراتب العبودية:

"فالعلم بالله وصفاته أشرف من العلم بكل معلوم من جهة أن متعلقه أشرف المعلومات وأكملها، ولأن ثماره أفضل الثمار، فإن معرفة كل صفة من الصفات توجب حالاً

---

[1] (?) أخرجه البخاري في كتاب: الآدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت عضبه.

عليه، وينشأ من تلك الحال ملابسة أخلاق سنية ومجانبة أخلاق دنية؛ فمن عرف سعة الرحمة أثمرت معرفته سعة الرجاء، ومن عرف شدة النقمة أثمرت معرفته شدة الخوف، وأثمر خوفه الكف عن الإثم والفسق والعصيان، مع البكاء والأحزان والورع، وحسن الانقياد والاذعان"[1].

فقد قرر-رحمه الله- أن التعبد لله عز وجل بمقتضى ما له من صفات عليا يثمر للعبد أجل أنواع العبودية التي هي الغاية من خلق الجن والإنس، وبمقدار معرفة العبد لصفات ربه يكون اثر ذلك في عبوديته لربه عز وجل.

2. قول ابن جزي المالكي.

قال -رحمه الله-: "اعلم أن سبب محبة الله معرفته، فتقوى هذه المحبة على قدر المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة، فإن الموجب للمحبة أحد أمرين، وكلاهما إذا اجتمع في شخص من خلق الله تعالى كان في غاية الكمال:

- الموجب الأول: الحسن والجمال.
- والآخر: الإحسان والإجمال.

فأما الجمال فهو محبوب بالطبع، فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن، والإجمال: مثل جمال الله في حكمته البالغة وصناعته البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تروق العقول وتهيج القلوب، وإنما يدرك جمال الله بالبصائر لا بالأبصار[2].

وأما الإحسان: فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وإحسان الله إلى عباده متواتر، وإنعامه عليهم باطن وظاهر، (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ) [إبراهيم:34]. ويكيفك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي والمؤمن والكافر، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه، وهو المستحق للمحبة وحده"[3].

---

1 (?) فتاوى ابن رشد (3/1625).

2 (?) الواجب أن يقيد هذا في الدنيا، فقد ثبت أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة بأبصارهم، وتكون تلك الرؤية أجل نعيم يحصل لهم فيها.

3 (?) انظر جهود علماء المالكية في تقرير توحيد العبادة، للشيخ عبدالله بن فهد العرفج، (ص/217).

فقد بين -رحمه الله تعالى- أن معرفة الله عز وجل، ومعرفة صفاته، يدعو العبد لمحبته، فهو ذو الفضل والإحسان، وصفاته سبحانه في غاية الحسن والكمال والجمال، ثم بين -رحمه الله- أثر هذه المحبة بقوله: " واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح، من الجد في طاعة الله، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق للقائه، والأنس بذكره"[1].

3. **قول الطاهر بن عاشور**.

قال -رحمه الله- مبيناً أن محبة الله عز وجل تثمر عبادته التي هي غاية السعادة التي ينشدها المكلف، وأن واجد محبة الله سبحانه واجد لحلاوة الإيمان، بخلاف من لم يكن كذلك. وأن السبب في ذلك هو معرفة صفاته عز وجل: "فإننا نسمع بصفات مشاهير الرجال مثل: الرسل، وأهل الخير، والذين نفعوا الناس، والذين اتصفوا بمحامد الصفات كالعلم والكرم والعدل، فنجد من أنفسنا ميلاً إلى ذكرهم، ثم يقوى ذلك الميل حتى يصير محبة منا إياهم، مع أننا ما عرفناهم؛ ألا ترى أن مزاولة كتب الحديث والسيرة مما يقوي محبة المزاول في الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك صفات الخالق تعالى لما كانت كلها كمالات وإحساناً إلينا وإصلاحاً لفاسدنا، أكسبنا اعتقادها إجلالاً لموصوفها، ثم يذهب ذلك الإجلال يقوى إلى أن يصير محبة. وفي الحديث: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[2]، فكانت هذه الثلاثة من قبيل المحبة، ولذلك جعل عندها وجدان حلاوة الإيمان، أي وجدانه جميلاً عند معتقده"[3].

---

1 (?) التسهيل (1/ 118).

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

3 (?) التحرير والتنوير، (3/ـ 255) وانظر جهود علماء المالكية

مما تقدم يتضح حكم التعبد لله عز وجل بصفاته عند ابن عاشور، وأنه يرى أن معرفة صفات الله عز وجل من أقوى الأسباب الجالبة لمحبته، ومحبته سبحانه من أعظم أنواع العبودية له.

4. قول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

قال -رحمه الله- في بيان حكم التعبد بصفات الله عز وجل واستحضارها، وما تتضمنه من المعاني والآداب التي تثمر الخوف من الله عز وجل، والخوف عبادة عظيمه من أجل العبادات، كما تثمر قوة الرجاء وهو عبادة عظيمة كذلك.

ثم قال: "... (ﮔ ﮕ ﮖ) هو السميع لكل ما يقوله خلقه، العليم بكل ما يعمله خلقه. وقد قدمنا في هذه الدروس مراراً أنه جرت العادة في القرآن: أن الله لا يذكر آيات تتضمن أوامر ونواهي إلا وترى بعدها الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم؛ لأنه لا خلاف بين العلماء أنه لا يوجد واعظ أكبر، ولا زاجر أعظم من زاجر المراقبة والعلم. وهو أن يعلم هذا الإنسان المسكين أن خالق السماوات والأرض مطلع عليه، يعلم ما يسر وما يعلن، حتى ما يخطر في قلبه فهو يعلمه (جل وعلا)، إن الله يعلم خطرات القلوب، وكيف يجهل خطرات القلوب من هو خالق خطرات القلوب؟ (ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ) [المُلك:14] (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ) [ق:16]. فالله يقول لنا في كل موضع من كتابه، لا تكاد تقلب ورقة واحدة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها هذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم (سميع عليم)، (عليم حكيم)، (سميع بصير) يعلم كذا، لا تكاد تجد ورقة إلا فيها أن الله يعلم ما نفعل، وهذا أكبر واعظ، وأعظم زاجر.

ثم أراد -رحمه الله- أن يقرب هذا الأمر إلى النفوس بضرب الأمثلة فقال: "وقد ضرب العلماء لهذا مثلاً، قالوا: لو فرضنا أن في هذا البراح من الأرض ملكاً عظيماً شديد البأس، عظيم النكال، شديد الغضب إذا انتهكت حرماته،

في تقرير توحيد العبادة، تأليف: الشيخ/ عبدالله بن فهد العرفج، (ص/219).

قتالاً للرجال، سفاكاً للدماء وحوله سيافه، والنطع مبسوط، والسيف يقطر دماً، وحول هذا الملك بناته ونساؤه وجواريه، أيخطر في البال أن أحداً من الحاضرين يطل بريبة أو غمزة، أو إشارة عين ؟ ! لا وكلاً، كلهم خاضع الطرف، خاشع الجوارح، أمنيته السلامة.

ونحن نؤكد لكم أن خالق السماوات والأرض أعظم اطلاعاً وأشد بطشاً، وأفظع فتكاً إذا انتهكت حرماته جل وعلا[1].

ثم بين -رحمه الله- ثمرة الخوف من الله عز وجل، الذي سببه علم العبد بأنه مطلع عليه، ويعلم ما يخفيه وما يعلنه، وأنه عليم بذات الصدور. فقال: "فعلى الإنسان أن يعلم أن هذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم، أن ربه يسمع ما يقول، ويعلم ما ينوي وما يفعل؛ إذا علم الإنسان هذا فإنه يحاسب ويطيع ربه.

فلو علم أهل بلد من البلاد أن أمير ذلك البلد يعلم كل ما يفعلونه بالليل من الخسائس والدسائس، باتوا متأدبين، كافين عن كل ما لا ينبغي. وهذا خالق السماوات والأرض -مع عظمته وجلاله- بين لخلقة أنه مطلع عليهم، عالم بما يفعلون،ومع هذا لا يتأدبون ولا ينـزجرون، فهذه وقاحة عظمى وجهل كبير، ولأجل هذا أنتم تعلمون في آيات من كتاب الله أن الله بين أن الحكمة التي خلق من أجلها الخلائق والموت والحياة والسماوات والأرض هي: أن يبتليهم على ألسنة رسله، أيهم يحسن العمل ممن لا يحسنه، كما قال تعالى في أول سورة هود: (ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ) ثم بين الحكمة فقال: (ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) [هود:7]، وقال في أول سورة الكهف(ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ) ثم بين الحكمة فقال: (ﭴ ﭵ ﭶ) [الكهف:7]، وقال في أول سورة الملك: (ﭙ ﭚ ﭛ) ثم بين الحكمة فقال: (ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ) [المُلك:2].

وإذا عرف العاقل أن خالق السماوات والأرض خلقه ليبلوه ويختبره: أهو يحسن العمل أم لا يحسنه؟ وربنا يقول: (ﭝ ﭞ ﭟ) ولم يقل: (أيكم أكثر عملا)؛ فلا بد أن يقول الإنسان: يا ليتني عرفت الطريق التي أنجح بها في هذا الاختبار، ويكون عملي حسناً، ولأجل هذه المهمة العظمى، لما غفل عنها أصحاب النبي صلى الله عليه

[1] (?) انظر تفسير الآية (59) من سورة الأنعام. العذب النمير، (1/392).

وسلم، جاء جبريل -عليه السلام- في صفة أعرابي في حديثه المشهور الصحيح، ليبين لهم ضمن حديثه المشهور: يا محمد صلوات الله وسلامه عليه، أخبرني عن الإحسان. يعني: والإحسان هو الذي خلق الخلق من أجل الاختبار فيه، فالنبي صلى الله عليه وسلم بين أن الإحسان الذي خلق الخلق للاختبار فيه لا يمكن أن يحصل إلا بهذا الزاجر الأعظم والواعظ الأكبر[1].

وقال -رحمه الله- مبيناً حكم التعبد بصفات الله عز وجل: "وهذه الصفات الجامعة: كالعلو، والكبر والعظم، والملك والجبروت، كل هذا جاء في القرآن العظيم وصف الخالق والمخلوق به، فقد وصف تعالى نفسه بالعلو والكبر والعظم، قال في وصف نفسه بالعلو والتعظيم: (ى ى) [البقرة:255] وقال وفي وصف نفسه بالعلو والكبر: (ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ) [الرعد:9]. (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ) [النساء:34]

ثم بين -رحمه الله- أن الله أمر رسوله أن يبين للناس عظمة خالقهم، ووجوب خوفهم منه، وأنه مطلع عليهم لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، وأمره أن يجمع لهم بين الخوف والرجاء فقال: (فإن كذبوك وتمردوا وكفروا فقل لهم، رغبهم ورهبهم، وأجمع لهم بين الوعد والوعيد، فأخبرهم أن ربك واسع الرحمة لمن أطاعه يرحمه ويدخله جنته، شديد العقاب والنكال لمن عصاه؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في أمرين: هما جلب النفع ودفع الضر، ومن أمثال العرب: " سوط وتمرة" ليكون الخوف والرجاء جناحين يطير بهما الإنسان إلى امتثال أمر الله. هذا الملك الجبار الذي أدعوكم إليه رحيم، عظيم الرحمة الواسعة لمن أطاعه، شديد النكال والبأس لمن عصاه، فعليكم أن تخافوا بأسه ونكاله، وتطمعوا في رحمته فتطيعوه.

قال بعض العلماء: ومن معاني قوله: (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ) [الأنعام:147] حيث أمهلكم وأغدق عليكم نعمه، وأعطاكم العافية والإمهال، وأنتم تكذبون رسله وترتكبون مساخطه، وتتمردون عليه، فما أرحمه وما أعظم لطفه (جل وعلا)؛ إلا أنه قال: (ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ) إذا أراد بطشاً بقوم مجرمين لا يرد بأسه عنهم، (ﭡ) أي: عذابه ونكاله، لا يقدر أحد أن

1 (?) العذب النمير، (2/191-193).

يرده لا بقوة ولا بشفاعة، ولا بغير ذلك، كبأس غيره من ملوك الدنيا الذي يرد بأسه بالقوة، ويرد بالشفاعة من غير إذن، فهو إذا أراد بقوم سوءاً فلا مرد له.

وكثير في القرآن أن يجمع الله بين الوعد والوعيد ،يجمع بين الخوف والطمع، كقوله هنا: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) وقوله في آخر هذه السورة: (   ) [الأنعام:165]، (، ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) [الحِجر:49-50]. (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ، ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ) [غافر: 2-3]، وقوله جل وعلى: (ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ) [الرعد:6]، إلى غير ذلك من الآيات[1].

وبهذه النقول يتبين تقرير أئمة المالكية المحققين سلفاً وخلفاً حكم التعبد بصفات الله عز وجل، وأنهم يرون جواز ذلك، بل يرونه واجباً؛ لأن عبادة الله عز وجل هي المقصد من خلق الجن والإنس كما قال سبحانه: (ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ) [الذاريات:56]، ولأن العبد كلما كان بربه أعرف، كان منه أخوف، ولما يرضيه أسرع.

وهذا الذي يقرره المحققون من أئمة المالكية هو الذي عليه أئمة السلف -رحمهم الله تعالى.

يقول الإمام بن القيم -رحمه الله- مبيناً ثمرة معرفة العبد لربه وهو تحقيق العبودية له سبحانه: "فمن شهد مشهد علو الله على خلقه، وفوقيته لعباده، واستوائه على عرشه، كما أخبر به أعرف الخلق وأعلمهم به، الصادق المصدوق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج القلب إليه، مناجياً له مطرقاً واقفاً بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلامه وعمله صاعد إليه، معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه، فيستحى أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير من الإماتة والإحياء، والتولية والعزل، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، وكشف البلاء وإرساله، وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس- إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ) [السجدة:5].

فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به، وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب

---

[1] (?) المصدر السابق، (2/408).

عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، ولا في قرار البحار، ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك علمه علما تفصيليا، ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإراداته، وجميع أحواله وعزماته وجوارحه، وعلم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه، علانية له، بادية لا يخفى عليه منها شىء.

وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهورها وخفائها، وسواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه لصوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد، كما أن خلق الخلق جمعيهم وبعثهم عنده بمنـزلة نفس واحدة، وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير جل جلاله، الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاتها وسكناتها، وتيقن أنه بمرأى منه سبحانه ومشاهدة لا يغيب عنه منه شيء.

وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال، وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس، وأنه تعالى هو القائم بنفسه، المقيم لغيره، القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره، وإيصال جزاء المحسن إليه وجزاء المسيء إليه، وأنه لكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يضل ولا ينسى.

وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين، وهو مشهد الربوبية. وأعلى منه مشهد الإلهية الذي هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء، وهو شهادة أن لا إله إلا هو، وأن إلهية ما سواه باطل ومحال، كما أن ربوبية ما سواه كذلك، فلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعبد، ويصلى له ويسجد، ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله،

فهو المطاع وحده على الحقيقة، والمألوه وحده، وله الحكم وحده، فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضلال، وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها، وكل غنى لغيره فقر وفاقة، وكل عز بغيره ذل وصغار، وكل تكثر بغيره قلة وذلة. فكما استحال أن يكون للخلق رب غيره، فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره، فهو الذي انتهت إليه الرغبات وتوجهت نحوه الطلبات، ويستحيل أن يكون معه إله آخر؛ فإن الإله على الحقيقة هو الغني الصمد الكامل في أسمائه وصفاته، الذي حاجة كل أحد إليه ولا حاجة به إلى أحد، وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره[1].

---

1 (?) طريق الهجرتين، (ص42/-43).

تقدم تعريف الحلف وأنه: تأكيد الشيئ بذكر معظم بصفة مخصوصة، باستعمال أحد حروف القسم وهي الواو والياء والتاء. وقد أجمع أهل السنة على تحريم جواز الحلف بغير الله عز وجل وإباحة الحلف بالله، أو باسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا، حيث جاءت النصوص الصحيحة الصريحة بالنهي عن الحلف بغير الله وجواز الحلف بالله عز وجل. فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[1]، وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: "كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب"[2]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله"[3]، وعن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ياأمة محمد، والله لو تعلمون ماأعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا"[4].

وقد بوب الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه باباً لبيان جواز الحلف بصفات الله عزوجل فقال: باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، وذكر تحته أحاديث تدل على جواز الحلف بصفات الله عزوجل منها:

---

1 (?) تقدم تخريجه.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم.

3 (?) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في كتاب الفتن، باب: لاتقوم الساعه حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

4 (?) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في كتاب الكسوف، باب: صلاة الكسوف.

- حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أعوذ بعزتك"[5].

- حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم: "يبقى رجل بين الجنة والنار، فيقول: يارب اصرف وجهي عن النار. لا وعزتك لا أسألك غيرها"[2].

- حديث أنس -رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لاتزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط، وعزتك، ويزوي بعضها على بعض"[3].

فهذه النصوص وغيرها كثير تدل على جواز الحلف بصفات الله عزوجل كما هو قول أهل السنة والجماعة.

والمحققون من أئمة المالكية لايخرجون عما يقرره أهل السنة في هذا الباب، ومما جاء عنهم في تقرير ذلك ما يلي:

1. قول القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي.

قال رحمه الله: "الحلف الجائز هو بالله وبصفات ذاته، والحلف بغيره ممنوع: كالحلف بالأنبياء أو الأباء أو الكعبة، أو ما أشبه ذلك من المخلوقات، لقوله صلى الله عليه وسلم:
"لاتحلفوا بآبائكم ولابأمهاتكم، ولاتحلفوا الابالله، ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[4]. والمحلوف به ضربان: قديم ومحدث، فالقديم هو صفات الله تعالى وصفات ذاته، والكفارة تتعلق بهذا الضرب دون غيره، والمحدث ماعدا الباري وصفاته، فلا كفارة بشىء من ذلك.
وقال: "... وجميع أسمائه تعالى تتعلق بها الكفارة: كالرحمن والرحيم، والعزيز والسميع والعليم، وما أشبه

---

5 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وهو العزيز الحكيم) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء . باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر مالم يعمل.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الآذان، باب: فضل السجود. ومسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريقة الرؤية.

3 (?) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته. ومسلم في كتاب (الجنة)، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

4 (?) تقدم تخريجه.

ذلك، وكذلك صفات ذاته: كعلمه وقدرته، وجلاله وعظمته، وكبريائه وعزته وكلامه وعهده وميثاقه، وكفالته وحقه، وسائر صفات ذاته؛ وإنما قلنا ذلك لأنها يمين بتقديم غير مخلوق، فكان كالحلف بالذات"[1].

مما تقدم يتبين أن القاضي -رحمه الله- يرى جواز الحلف بصفات الله عزوجل، وعدم جواز الحلف بغيره سبحانه، وأن الحلف بصفاته عزوجل موجب للكفارة عند حصول الحنث؛ لأن الصفة تتبع الموصوف. ومن المتقرر عن أهل السنة تحريم الحلف بغير الله.

2. قول الحافظ ابن عبد البر.

قال -رحمه الله- مبيناً حكم الحلف بصفات الله عزوجل، وناقلاً إجماع العلماء على جواز ذلك:

"فالذي أجمع عليه العلماء في هذا الباب هو أنه: من حلف بالله، أو باسم من أسماء الله، أو بصفة من صفاته، أو القرآن أو بشئ منه، فحنث فعليه كفارة يمين على ما وصف الله في كتابه من حكم الكفارة، وهذا ما لا خلاف فيه عند أهل الفروع، وليسوا في هذا الباب بخلاف.

وأجمع العلماء على أن تصريح اليمين بالله هو قول الحالف بالله، أو والله، أو تالله. واختلفوا فيمن قال: والله والله، أو والله والرحمن، أو والرحمن والرحيم، أو والله والرحيم الرحمان. فتحصيل مذهب مالك وأصحابه في ذلك، وهو قول الأوزاعي والبتي، أنها يمين واحدة أبداً إذا كرر شيئا مما ذكرنا؛ إلا أن يكون أراد استثناء يمين، فيكون كذلك، وسواء كان ذلك في مجلس واحد أو مجالس. وقال الشافعي: في كل يمين كفارة إلا أن يكون أراد التكرار. وقال أبو حنيفة: إذا قال والله والرحمان، فهما يمينان إلا أن يكون أراد اليمين الأولى فتكون يمينا واحدة، ولو قال: والله الرحمن كانت يمينا واحدة.

قال أبو عمر: "لا يختلفون فيمن قال: والله العظيم الرحمن الرحيم، ونحو هذا من صفاته عزوجل، أنهما يمين واحدة؛ وإنما اختلفوا إذا أدخل الواو. وقال زفر: إذا قال والله الرحمان كانت واحدة ...

---

[1] (?) المعونة على مذهب عالم المدينة، (1/ 629-630).

واختلفوا فيمن حلف بحق الله، أو بعهد الله أو ميثاقه، أو نحو ذلك:

فقال مالك: من حلف بحق الله فهي يمين، قال: وكذلك عهد الله وميثاقه، وكفالته وعزته وقدرته وسلطانه، وجميع صفات الله وأسمائه، هي أيمان كلها فيها الكفارة، وكذلك لعمر الله، وأيم الله.

وقال الشافعي في حق الله، وجلال الله، وعظمته وقدرته: يمين إن نوى بها اليمين، وإن لم يرد اليمين فليست بيمين؛ لأنه يحتمل وحق الله واجب، وقدرة الله ماضية. وقال في أمانة الله: ليست بيمين، وفي لعمر الله وأيم الله: إن لم يرد بها اليمين فليست بيمين.

وقال الأوزاعي: من قال لعمر الله وأيم الله[1] لأفعلن كذا، ثم حنث فعليه كفارة يمين"[2]

قال ابن عبد البر: "وذكر مالك في هذا الباب أنه بلغه أن رسول الله صلى عليه وسلم كان يقول: "لاومقلب القلوب""[3].

قال أبو عمر: "هذا يدل على صحة قول الفقهاء: أن الحلف بصفات الله تعالى جائز تجب فيه الكفارة؛ لأنها منه تعالى ذكره[4].

وهكذا يتبين أن الحافظ بن عبد إلبر يقرر جواز الحلف بصفات الله عز وجل، وينقل إجماع أهل العلم على ذلك.

3. قول ابن رشد.

قال -رحمه الله- في كتاب البيان والتحصيل الذي شرح فيه العتبية، مقرراً جواز الحلف بصفات الله عز وجل:

---

1 (?) وقد جاء في السنه مايدل على جواز الحلف بلفظ (وأيم الله) كما عند البخاري، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "وأيم الله"، ثم ذكر حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمرته، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن كنتم تطعنون في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة". الحديث خرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل زيد بن حارثه وأسامة بن زيد.

2 (?) التمهيد، (14/369-372).

3 (?) الاستذكار، (15/99).

4 (?) المصدر السابق، (15/101).

وقال في الذي يقول: لعمر الله وأيم الله، إني أخاف أن يكون يميناً.

قال أصبغ: هي يمين إذا حلف بذلك ليفعلن أو لا يفعل فحنث.

قال محمد بن أحمد: أما أيم الله فلا إشكال في أنها يمين؛ لأن أيمن الله، وأيم الله، ومن الله، كلها لغات للعرب في القسم. فمن النحاة من ذهب إلى أن الأصل فيها عندهم أيمن الله جمع يمين، ثم حذفوا على عادتهم في الحذف ما كثر استعماله فقالوا: أيم الله لا فعلت أو لأ فعلن، كما قالوا: يمين الله لا فعلت أو لأ فعلن، كما قال الشاعر:

فقلت يمين الله أبـرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي.

ومنهم من ذهب إلى أن ألف أيمن وصل، وإنما فتحت لدخولها على اسم غير متمكن، واشتقاقه من اليمن والبركة؛ وأما لعمر الله، ففي القول بأنها يمين نظر؛ لأن الأيمان التي تكون أيماناً ويجب فيها كفارة: اليمين بالله عز وجل، باسم من أسمائه وصفة من صفات ذاته كعلمه، وقدرته وإرادته، وحياته، وما أشبه ذلك من صفاته. والعمر هو العمر، وليس ذلك بصفة لله تعالى؛ إذ لا يوصف بأنه ذو عمر بإجماع من الأمة. فوجه قوله في لعمر الله إنها يمين هو: أن الحالف بذلك محمول على أنه أراد بعمر الله بقاء الله تعالى.

ثم قال مقرراً صفة البقاء لله عز وجل: "والذي عليه الأكثر والمحققون، إثبات البقاء صفة لله، ونفي أن يكون القدم صفة لله. وقال: أخشى أن يكون يميناً إذ من أهل العلم من يثبته صفة لله تعالى. وذهب أصبغ إلى قول من أثبته صفة لله، فحقق القول بأن ذلك يمين، وهو مثل ما في المدونة لابن قاسم.

وقال في الذي يحلف بالقرآن، أو بالكتاب، أو بالمصحف، أو بما أنزل الله، أفترى ذلك كله يميناً واحدة؟ فقال: أحسن ما سمعت، والذي تكلمنا فيه، أن يكون يميناً كل ما سمي من ذلك.

وقال فيمن حلف فقال: علي عهد الله وغليظ ميثاقه وكفالته، "في المسألة التي قبل هذه في الذي يحلف بالقرآن والكتاب والمصحف يمين واحدة, وإنما لم يوجب

في قوله: وكفالته كفارة ثالثة؛ لأنه حمل يمينه على أنه أتى بكفالته، مخفوضة عطفا على ميثاقه، فلم يوجب على نفسه إلا شيئان: أحدهما عهد الله، والثاني غليظ ميثاقه وكفالته. ولو حمل على أنه أتى بها مرفوعة مقطوعة، معطوفة على العهد والميثاق، لأوجب عليه فيها كفارة ثالثة؛ لأنه بذلك يكون موجباً لها على نفسه كالعهد وغليظ الميثاق.

وقول ابن القاسم: أحسن ما سمع وتكلم فيه، في الذي يحلف بالقرآن أو بالكتاب أو بالمصحف، أن يكون يمينا كل ما سمي من ذلك، ظاهره أنه إذا جمعها في يمين واحدة فقال: وحق القرآن والكتاب والمصحف، لا فعلت كذا وكذا، أو لأفعلن، فحنث أن عليه ثلاث كفارات لاختلاف التسميات، وإن كان المحلوف به واحداً وهو كلام الله تعالى القديم. وهو خلاف قول سحنون في نوازله: من حلف بالتوراة والإنجيل في كلمة واحدة أن عليه كفارة واحدة.

ويلزم على ظاهر قول ابن القاسم هذا أن يلزم الرجل إذا قال: والله والرحمان والسميع والعليم، لا فعلت كذا، فحنث أربع كفارات لاختلاف التسميات أيضاً، وإن كان المحلوف به واحداً وهو الله عز وجل. وليس في المدونة في هذا بيان.

وذهب أبو إسحاق التونسي إلى أنه لا يجب في ذلك إلا كفارة واحدة؛ لأن المحلوف به واحد. قال: وكذلك الصفات إذا كان معناها واحداً مثل العظمة والجلال والكبرياء، وأما إن كانت معانيها مختلفة كالقدرة والعلم والإرادة، فعليه إذا جمعها في يمين واحدة كفارة لكل ما سمي منها؛ لأن كل واحد منها تفيد معنى في الموصوف بخلاف معنى الآخر، وليس بين الصفات المختلفة المعاني والأسماء المشتقة منها فرق؛ لأن الاسم المشتق من الصفة يفيد معناها، فإذا وجبت في الحلف بعلم الله، وقدرته، وإرادته، في يمين واحدة ثلاث كفارات من أجل أن كل صفة تفيد في الموصوف صفة تخالف الصفة الأخرى، وجب أيضاً في الحلف بالعالم، والقادر، والمريد، في يمين واحدة ثلاث

كفارات من أجل أن كل اسم منها يفيد في المحلوف به صفة تخالف ما يفيده الاسم الآخر من الصفة[1].

فقد قرر-رحمه الله- حكم الحلف بصفات الله عز وجل وأن من حلف بصفة منها ثم حنث وجبت عليه الكفارة، وهذا هو منهج أهل الحق.

4. قول ابن العربي.

قال -رحمه الله- مبيناً جواز الحلف بصفات الله عز وجل: " اليمين تنعقد بالله تعالى، وصفاته العليا، وأسمائه الحسنى كيفما ترددت العبارة عنها، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[2]، تأديباً لعمر بن الخطاب-رضي الله عنه- حين سمعه يحلف بأبيه"[3].

ثم قال رحمه الله: "... لما كانت اليمين بالله تعالى مشروعة في كتابه، مبيناً حكمها، جارياً على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لفظها، استقرت ديناً، وبين حكمها يقيناً، فلم يتطرق إليها اختلاف"[4].

فقد قرر القاضي أبو بكر بن العربي -رحمه الله تعالى- جواز الحلف بالله ،وبأسمائه، وصفاته، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة ممثلة في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى الحلف بالله عز وجل، والحلف بالله يشمل الحلف بأسمائه وصفاته؛ لأن الصفة تابعة للموصوف، فإذا جاز الحلف بالله جاز الحلف بصفاته عز وجل.

5. قول القاضي عياض.

قال -رحمه الله- عند شرحه حديث عبد الله بن مسعود في ذكر أخر رجل يدخل الجنة، وفيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فيقول: وعزتك لا أسأل غير ذلك" الحديث[5]. قوله: "لا وعزتك"، قال القاضي: فيه دليل على

---

1 (?) البيان والتحصيل، (3/173- 179) بتصرف.

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) القبس موطأ مالك بن أنس، (2/ 610).

4 (?) المصدر السابق، (2/ 611).

5 (?) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل السجود، ومسلم في كتاب الأيمان، باب: آخر أهل النار خروجاً.

جواز الحلف بصفات الله، وكذلك في الحديث الذي بعده في قوله: "وعزتي وكبريائي"[1].

فقد قرر -رحمه الله- جواز الحلف بصفات الله عز وجل، كغيره من أئمة المالكية -رحم الله الجميع-.

6. قول أبي العباس أحمد بن عمر بن براهيم القرطبي.

قال رحمه الله عند شرحه لحديث عمر -رضي الله عنه- "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[2]: "لا يفهم منه قصر اليمين الجائزة على الحلف بهذا الاسم فقط، بل حكم جميع أسماء الله تعالى حكم هذا الاسم، فلو قال: والعزيز، والعليم، والقادر، والسميع، والبصير، لكانت يميناً جائزة، وهذا متفق عليه. وكذلك الحكم في الحلف بصفات الله تعالى كقوله: وعزة الله، وعلمه، وقدرته، وما أشبه ذلك، مما يتمحض فيه الصفة لله، ولاينبغي أن يختلف في هذا النوع أنها أيمان كالقسم الأول. وأما ما يضاف إلى الله تعالى مما ليس بصفة له، كقوله: وخلق الله، ونعمته، ورزقه، وبيته، فهذه ليست بأيمان جائزة؛ لأنها حلف بغير الله عزوجل على ما تقدم. وبين هذين القسمين قسم آخر متردد بينهما، فاختلف فيه لتردده كقوله: وعهد الله، وأمانته، وكفالته، وحقه، فعندنا أنها أيمان ملحقه بالقسم الأول"[3].

فقد قرر -رحمه الله- جواز الحلف بصفات الله عز وجل، كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

7. قول الإمام أبي عبدالله القرطبي.

قال -رحمه الله- مبيناً حكم اليمين بالله وصفاته، في معرض كلامه على أحكام اليمين:

"**الثامنة:** المحلوف به هو الله سبحانه وتعالى، وأسمائه الحسنى: كالرحمن والرحيم، والسميع والعليم والحكيم، ونحو ذلك من أسمائه، وصفاته العليا: كعزته وقدرته، وعلمه وإرادته، وكبريائه وعظمته، وعهده وميثاقه، وسائر صفات ذاته؛ لأنها يمين بقديم غير مخلوق، فكان الحالف بها كالحالف بالذات. روى الترمذي والنسائي

---

1 (?) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، (1/368).

2 (?) تقدم تخريجه.

3 (?) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (7/123).

وغيرهما أن جبريل عليه السلام لما نظر إلى الجنة ورجع إلى الله تعالى قال: "وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. وكذلك قال في النار: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها".

وخرجا أيضاً وغيرهما عن ابن عمر قال: كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم "لا ومقلب القلوب"، وفي رواية: "لا ومصرف القلوب".

وأجمع أهل العلم على أن من حلف فقال: والله، أو بالله، أو تالله، فحنث أن عليه الكفارة. قال ابن المنذر: وكان مالك والشافعي وأبو عبيد وأبو ثور وإسحق وأصحاب الرأي يقولون: من حلف باسم من أسماء الله وحنث فعليه الكفارة، وبه نقول، ولا أعلم في ذلك خلافاً.

قلت : قد نقل في باب ذكر الحلف بالقرآن، وقال يعقوب: من حلف بالرحمن فحنث فلا كفارة عليه. قلت: والرحمن من أسمائه سبحانه مجمع عليه ولا خلاف.

التاسعة: واختلفوا في وحق الله، وعظمة الله، وقدرة الله، وعلم الله، ولعمر الله، وأيم الله؛ فقال مالك: كلها أيمان تجب فيها الكفّارة.

وقال الشافعي: في وحق الله، وجلال الله، وعظمة الله، وقدرة الله، يمين إن نوى بها اليمين، وإن لم يرد اليمين فليست بيمين؛ لأنه يحتمل وحق الله واجب، وقدرته ماضية. وقال في أمانة الله: ليست بيمين، ولعمر الله وأيم الله إن لم يرد بها اليمين فليست بيمين.

وقال أصحاب الرأي: إذا قال: وعظمة الله، وعزة الله، وجلال الله، وكبرياء الله، وأمانة الله، فحنث فعليه الكفارة.

وقال الحسن في وحق الله: ليست بيمين ولا كفّارة فيها, وهو قول أبي حنيفة، حكاه عنه الرّازي. وكذلك عهد الله وميثاقه وأمانته ليست بيمين. وقال بعض أصحابه: هي يمين. وقال الطحاويّ: ليست بيمين، وكذا إذا قال: وعلم الله، لم يكن يميناً في قول أبي حنيفة، وخالفه صاحبه أبو يوسف فقال: يكون يميناً.

قال ابن العربي : والذي أوقعه في ذلك أن العلم قد يطلق على المعلوم، وهو المحدث، فلا يكون يميناً. وذهل عن أن القدرة تطلق على المقدور، فكل كلام له في المقدور فهو حجتنا في المعلوم.

وقال ابن المنذر : وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "وأيم الله؛ إن كان لخليقاً للإمارة" في قصّة زيد وابنه أسامة. وكان ابن عبّاس يقول: وأيم الله، وكذلك قال ابن عمر. وقال إسحق: إذا أراد بأيم الله يميناً، كانت يميناً بالإرادة وعقد القلب.

العاشرة: واختلفوا في الحلف بالقرآن؛ فقال ابن مسعود: عليه بكل آية يمين، وبه قال الحسن البصريّ وابن المبارك. وقال أحمد: ما أعلم شيئاً يدفعه. وقال أبو عبيد: يكون يميناً واحدة. وقال أبو حنيفة: لا كفّارة عليه. وكان قتادة يحلف بالمصحف. وقال أحمد وإسحاق لا نكره ذلك.

الحادية عشرة: لا تنعقد اليمين بغير الله تعالى وأسمائه وصفاته[1].

مما تقدم يتبين أن الإمام القرطبي -رحمه الله- يقرر جواز الحلف بصفات الله عز وجل. ومما يؤيد ذلك ما ذكره من أقوال أهل العلم الذين يرون جواز الحلف بصفات الله عز وجل، وعدم تعقبهم، مما يدل على أنه يرى ذلك.

8. قول الطاهر بن عاشور.

قال -رحمه الله-: "الأيمان جمع يمين، و اليمين القسم والحلف، وهو ذكر اسم الله تعالى، أو بعض صفاته، أو بعض شئونه العليا، أو شعائره؛ فقد كانت العرب تحلف بالله، و برب الكعبة، و بالهدي، وبمناسك الحج. والقسم عندهم بحرف من حروف القسم الثلاثة: الواو والباء والتاء، وربما ذكروا لفظ حلفت أو أقسمت، وربما حلفوا بدماء البدن، وربما قالوا: والدماء، وقد يدخلون لاماً على عمر الله، يقال: لعمر الله، يراد به التزام فعل، أو براءة من حق. وقد يحلفون بأشياء عزيزة عندهم لقصد تأكيد الخبر أو االتزام، كقولهم: وأبيك، وعمرك ولعمري، ويحلفون بآبائهم. ولما جاء الإسلام نهى عن الحلف بغير الله.

ومن عادة العرب في القسم، أن بعض القسم يقسمون به على التزام فعل يفعله المقسم ليلجئ نفسه إلى عمله ولا يندم عليه، وهو من قبيل قسم النذر، فإذا أراد أحد أن يظهر عزمه على فعل لا محالة ولا مطمع لأحد في صرفه عنه، أكده بالقسم.

قال بلعاء بني قيس:

---

[1] (?) الجامع لأحكام القرآن، (6/269-270).

وفارس في غمار الموت منغمس إذا تألى على مكـروهة صدقـا.

أي: إذا حلف على أن يقاتل أو يقتل، أو نحو ذلك من المصاعب والأضرار، ومنه سميت الحرب كريهة، فصار نطقهم باليمين مؤذناً بالعزم، وكثر ذلك في ألسنتهم في أغراض التأكيد ونحوه، حتى صار يجري على اللسان كما تجري الكلمات الدالة على المعاني من غير إرادة الحلف. وصارت كثرته في الكلام لا تحصر، فكثر التحرج من ذلك في الإسلام قال كثير:

قليـل الألايـا حـافـظ ليمينـه وإن سبقت منـه الألية بـرت[1].

يتبين من هذه النقول أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون جواز الحلف بصفات الله عز وجل، وأن الحلف بذلك عند الحاجة إليه إما لتأكيد أمر، أو نفي وقوعه جائز. وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة. يدل على ذلك قول الإمام الخطابي الشافعي -رحمه الله تعالى- حيث قال عند شرحه لحديث "من حلف بالأمانة فليس منا"[2]: "هذا يشبه أن تكون الكراهة فيها من أجل أنه أمر أن يحلف بالله وصفاته، وليست الأمانة من صفاته، أو إنما هي أمر من أمره، وفرض من فروضه، فنهوا عنه لما في ذلك من التسوية بينها وبين أسماء الله عز وجل وصفاته[3].

---

1 (?) التحرير والتنوير (2/362-363).

2 (?) أخرجه أبو داود في السـنن، كتـاب الأيمـان والنـذور، بـاب: كراهية الحلف بالأمانة.

3 (?) معالم السنن، (4/46).